عرفت الحياة الأدبية في القرن الثاني الهجري و ما تلاه، إلى جانب صناعة دواوين الشعراء منفردين أو شعراء قبيلة مجتمعين، اتجاهات أخرى لا تنتمي إلى أي من الاتجاهين السابقين، وإنما تقوم على أساس الانتقاء لغايات تربوية أو تعليمية أو تذوقية من الدواوين المستقلة أو المجتمعة، تختار القصائد الطوال، أو المقطوعات الجميلة، أو الأبيات السائرة، و يمكن أن نسميها: المختارات.

و كلما ارتقى المجتمع و شاعت الثقافة، و تحضرّ الناس، وانشغلوا بأمور الحياة، ازدادت كتب المختارات و تنوعت، لأنها وسيلة التسلية الراقية و الوحيدة، لمن لا يحترفون الأدب، و لا يمتنون العلم، و يحاولون أن يأخذوا منها بنصيب، و سنكتفي بإيراد بعض هذه المختارات في ضوء الاعتبارات التالية:

- أن تكون قد وصلتنا يقينا، فهي إذن متاحة لمن يرغب في العودة إليها، سواء أكانت منشورة، أم محققة، أم لا تزال مخطوطة و نعرف مكانها.

- أن تكون ذات أهمية تتمثل في تنوع مادتها الشعرية، و في جدتها، و ألا تقتصر في النقل على ما هو مشاع و بين أيدينا فعلا، و أن يسهل الوصول إليها إذا كانت مخطوطة، لمن يريد الاستفادة منها أو يرغب في تحقيقها. و من بين أقدم المختارات من القصائد الطوال الكاملة، نذكر ما يلي:

1- المفضليات للمفضل الضبي:

تنسب هذه المختارات إلى المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي، و تاريخ ميلاده غير معروف، و إن كان المرجح أن يكون في أواخر العقد الأول من القرن الثاني، أما تاريخ وفاته ففيه خلاف، و يرجح أنه توفي عام 178 هـ. و يعدّ المفضل الضبي من جيل الرواة العلماء الأول، و هو رأس مدرسة الكوفة، و لكنه ورد كذلك على البصرة فأخذ عنه علماءها، و كذلك وفد إلى بغداد في زمن الخليفة العباسي المنصور.

كان راوية عالما بأخبار العرب و أيامها و أشعارها و لغاتها، و قد أخذ عنه كثيرون من العلماء، منهم: الفراء و الكسائي و ابن الأعرابي و إليه تنتهي كثير من الروايات الشعرية لدواوين الشعراء و دواوين القبائل على السواء. و يعدّ المفضل الضبي من رواة الطبقة الأولى، و قد وصفه "ابن سلام الجمحي" بأنه «أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة».

و تشير بعض الروايات إلى أن الضبي صنف مختاراته الشعرية لتعليم تلميذه "محمد بن عبد الله المهدي" ولي عهد المنصور، و أنه سماها في البداية "الاختيارات"، ثم سميت فيما بعد باسم "المفضليات".

و قد ذكر "أبو الفرج الأصفهاني" في كتابه (مقاتل الطالبين)، قول المفضل الضبي: «كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن متواريا عندي، فكننت أخرج و أتركه، فقال إنك إذا خرجت ضاق صدري، فأخرج لي شيئا من كتبك أنقرّج به، فأخرجت إليه كتبنا من الشعر، فاختار منها السبعين قصيدة التي صدرت بها "اختيار الشعراء"، ثم أتممت عليها باقي الكتاب».

و تضمّ النشرة العلمية للمفضليات، التي صدرت طبعها الأولى عن دار المعارف بمصر سنة 1942، بتحقيق الأستاذين "أحمد محمد شاكر" و "عبد السلام محمد هارون"، مائة و ثلاثين قصيدة من روائع الشعر القديم، و ينتمي معظمها لشعراء من العصر الجاهلي، ك "المرقش الأكبر" و "عامل بن الطفيل" و "علقمة بن عبدة"، و بعض الشعراء المخضرمين، و بعض الشعراء الإسلاميين، و هناك ستة و عشرون شاعرا وردت لكل منهم قصيدتان، و تسعة شعراء وردت لكل منهم ثلاث قصائد، و شاعر واحد وردت له أربع قصائد، هو "ربيعة بن مرقوم

الضبي"، و شاعر واحد وردت له خمس قصائد، هو "المرقش الأصغر"، و شاعر واحد وردت له اثنتا عشرة قصيدة، هو "المرقش الأكبر"، و بلغ عدد أبيات المفضليات 2727 بيتاً. و تضم هذه المجموعة أربعين مقطوعة لا يزيد عدد أبيات كل منها عن عشرة، و ثلاثاً و أربعين قصيدة يتراوح عدد أبيات كل منها بين 11 و 20 بيتاً، و إحدى و عشرين قصيدة تتراوح أبياتها بين 21 و 30 بيتاً، و عشر قصائد تتراوح بين 31 و 40 بيتاً، و سبع قصائد تتراوح بين 41 و 50 بيتاً، و ثماني قصائد مطولات، تتراوح بين 51 و 108 بيتاً، و أطول قصيدة في هذه المجموعة هي قصيدة "سُوَيْد بن أبي كاهل"، فيها 108 بيتاً، و مطلعها:

بسطت رابعةً الحبل لنا * فوصلنا منها ما اتسع.

و أقصر مقطوعة في هذه المجموعة تقع في بيتين، و هي للمرقرش الأكبر، و فيها يقول:

أبأت بثعلبة بن الحشا * م عمرو بن عوف فزال الوهل

دمًا بدم، و تعفَى الكلوم * و لا يقع الأولين المهل

أما ترتيب هذه القصائد، فليس في وسعنا أن نستدلّ عليه على النحو الذي وضعه "المفضّل"، بعد أن تناولت أيدي الرواة القصائد الثمانين التي كان "المفضّل" قد اختارها بالزيادة فيها و الإضافة إليها، على نحو ما صنع الأصمعي، و ربما كان "المفضّل" نفسه لم يفكر في شيء من أمر هذا الترتيب.

و لم يقتصر "المفضّل" اختياراته على غرض واحد، بل نوع في اختياراته، و لكنّه لم يهتم بذكر أية إشارات أو تعليقات أو شروح لتلك القصائد، و مع كلّ ذلك فإن للمفضليات قيمة تاريخية و أدبية كبيرة. فمن الناحية التاريخية تعدّ المفضليات أول كتاب كبير يضمّ مختارات من عيون الشعر القديم، الجاهلي و المخضرم و الإسلامي بروايات موثوق بها. أما من الناحية الأدبية، فإنها تضمنت قصائد كاملة من أروع ما في الشعر العربي القديم، أي أنها تعكس لنا المثل الشعري الأعلى في التصور و الذوق العربي.

و لقد كانت هذه المجموعة المختارة فاتحة لمجامع شعرية تسير على نفس الدرب، و هي مجموعة نادرة، تفوق ما أورده "ابن سلام الجمحي"، أو "ابن قتيبة"، أو "أبو زيد القرشي" من شعر، و تمثل على نحو لا بأس به اتجاهات الشعر العربي منذ الجاهلية حتى منتصف القرن الأول الهجري.

و للأهمية التي بلغتها المفضليات، ظفرت في عصر الشّروح باهتمام كثير من الشّراح، و أولهم "أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري"، و يلي بعد ذلك شرح "أبي علي المرزوقي"، ثم شرحان آخران، أحدهما لـ "أبي زكريا يحيى التبريزي"، و "أبي الفضل الميداني".

و قد طبعت المفضليات ستّ طبعات:

طبع الجزء الأول منها لأول مرة في "لايبنتسج" سنة 1885، و قد أخرجه المستشرق "توربكة"، و طبعة تجارية في مصر سنة 1906، ثم طبعة كاملة في مصر في جزأين سنة 1915 م/1334هـ، و طبعة المستشرق ليال، ثم طبعة أخرى كاملة في مصر سنة 1945 مع شرح موجز لـ "حسن السندي"، و طبعة دار المعارف بمصر سنة 1942 مع تحقيق و شرح موجز للأستاذين "أحمد محمد شاكر" و "عبد السلام محمد هارون".

2- الأصمعيات للأصمعي:

الأصمعي أبو سعيد عبد الملك ابن قريش، ولد سنة 122هـ، و توفي بالبصرة سنة 216هـ، و هو من الرّعيّل الأول من الرواة العلماء بالبصرة، غزير الحفظ و الرواية، عالم بالشّعر لا يشق له

غبار، و قد سمع من "أبي عمرو بن العلاء" و "حماد الراوية"، و غيرهم من الرواة، كما سمع من الأعراب و الشعراء مباشرة، و قد كان من الطبقة الأولى من الرواة العلماء الذين ينتهي عندهم الإسناد في كثير من الأحيان. و من مؤلفاته: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الإبل، كتاب الخيل، كتاب الشاء، كتاب الوحوش، كتاب الأضداد، كتاب القلب و الإبدال، كتاب النّبات، كتاب الدارات، كتاب النّخل و الكروم، كتاب فحولة الشعراء.

و قد سار "الأصمعي" على نهج "الضّبي" في جمع مختارات شعرية من العصرين الجاهلي و الإسلامي، و لقد استأثر الشعر الجاهلي باهتمام "الأصمعي"، فاختر قصائد لأربعة و أربعين شاعرا جاهليا، و جاء المخضرمون في المرتبة الثانية ثم الإسلاميون.

و قد سميت بالأصمعيات لشهرة جامعها بلقبه دون اسمه، تضم 92 قصيدة، لواحد و سبعين (71) شاعرا، منهم أربعة و أربعون شاعرا جاهليا، و أربعة عشر شاعرا مخضرمًا، و سبعة شعراء إسلاميون و سبعة شعراء مجهولو العصر. و قد بلغ عدد أبيات قصائد الكتاب و مقطوعاته 1442 بيتًا، و القصائد فيها أكثر من المقطوعات، و فيها يتجلى مزاج "الأصمعي" نحويا و لغويا، إذ يغلب عنده هذا الجانب على الناحية الأدبية، و من ثم فهي تعكس عقلية عالم لغوي يدرس الشعر الجاهلي، و تعتبر إلى حدّ ما تكملة للمفضليات، و أنّ أطول قصائد "الأصمعي" لم تتجاوز أربعة و أربعين بيتًا، في حين نيفت بعض قصائد المفضليات على مائة بيت.

و من هذه القصائد و المقطوعات، نجد اثنتين و أربعين مقطوعة تتراوح الأبيات فيها بين بيتين و عشرة، و عشرون قصيدة تتراوح أبياتها بين 11 و 20 بيتًا، و ثماني عشرة قصيدة تتراوح أبياتها بين 21 و 30 بيتًا، و عشر قصائد تتراوح بين 31 و 40 بيتًا، و قصيدتان اثنتان إحداهما تتضمن 43 بيتًا و الأخرى 44 بيتًا.

لا يسير انتخاب "الأصمعي" للشعر على منهج معيّن، و لم يقسّم شعراءه إلى طبقات، و لا قصائده إلى أغراض و أبواب، و إنّما جاءت اختياراته خليطًا من القصائد و المقطوعات، و الأصمعيات كالمفضليات، تُلقى ضوءًا كاشفًا على حياة العرب في الجاهلية، و بيئاتهم و أيامهم، و العلاقات بين مختلف قبائلهم، و تقدّم نماذج لكل أغراض شعرهم، من الوقوف على الأطلال، و الغزل، و الرّثاء، و المديح، و الوصف، و الهجاء.

و الحقيقة أنّ الأصمعيات لم تبلغ شهرة المفضليات، و لم تظفر باهتمام الشّراح مثلما حدث مع المفضليات، و لم تجد الأصمعيات قبولا حسنًا وانتشارًا واسعًا، و أدّى ذلك إلى تفسيرات مختلفة لدى الباحثين، فـ "ابن النّديم" في كتابه (الفهرست) يردّ ذلك إلى قلة اشتغالها على غريب اللغة، و لأن الأصمعي عمد فيها إلى اختصار الرواية، و اكتفى في كثير من القصائد بمختارات منها، و لم يرويها كاملة، و الشرح الوحيد للأصمعيات هو ذلك الذي قام به "ابن الأنباري" و الذي أشار إليه "بروكلمان" في كتابه (تاريخ الأدب العربي)

و قد صدرت للأصمعيات طبعتان: الطبعة الأوروبية، و صدرت في مدينة لايبنتسج بألمانيا في سنة 1902، بعناية المستشرق الألماني "فلهم ألقارد"، و الطبعة الثانية صدرت عن مخطوطة في دار الكتب المصرية، حققها الشيخ "أحمد محمد شاكر" و الأستاذ "عبد السلام هارون"، و صدرت عن دار المعارف بمصر في سنة 1955، و قد ترجم المحققان لكل شاعر ترجمة موجزة، و خرّجا شعره، و شرحا الغريب فيه، ثم ألحقا بالكتاب عددا من الفهارس المفيدة، خاصة في الطبعة الثانية التي صدرت في سنة 1963، تضمنت الشعراء و القبائل و الأعلام، و اللّغة، و القوافي، و الأوصاف، و التّشبيّهات، و المعاني العامة، و الطوائف، و البلدان، و غيرها.

المقياس: مصادر اللغة والأدب
والأصمعيات
المستوى: السنة الأولى

المحاضرة السادسة : المفضليات

السنة الجامعية: 2020-2021

الأستاذة: بوقرومة حكيمة

الأدبية في العصر الذي أُلُفت فيه.